

حكاية زرقاء الميمامة

تحكى الأساطير العربية أن زرقاء الميمامة هو اللقب الذى أطلق على فتاة شابة ، نشأت فى منطقة الميمامة باليمن ، وكانت تتميز بحدة البصر ، ورؤية الأشياء من على بعد كبير. أما وصف زرقاء فيبدو أنه جاء من لون عينيها ، أو بسبب قوتها البالغة فى الإبصار . وبالطبع كان أهل القبيلة يستفيدون من رؤيتها للأشياء من بعيد ، ولذا شك أنهم كانوا يندهشون ويتندرون أحيانا على تلك الظاهرة المتفردة ، حتى جاء يوم صعدت فيه زرقاء الميمامة على تل وشاهدت أثر الغبار الذى تثيره سنايك الخيل فى الصحراء ، فنزلت وأخبرت قبيلتها بضرورة الاستعداد للدفاع ضد هجوم وشيك قادم إليهم ، لكن حكماء القبيلة الذين بيدهم الأمر لم يعطوا كلامها أهمية ، ولابد أنهم اعتبروا ذلك نوعا من التجاوز فى استخدام موهبتها ، ومن المؤكد أن أحدا منهم أقنع المبالق^١ بأنّه لا يجوز إعلان الاستنفار العام لمجرد كلام فتاة لا أهمية لها . وهنا مربط الفرس كما يقول العرب أنفسهم . فإهمال أى ملاحظة تتعلق بأمر خطير قد يؤدى إلى عواقب وخيمة .

عموما ، فقد نامت قبيلة زرقاء الميمامة فى تلك الليلة مطمئنة ، واستغرقت فى أحلامها اللذيذة ، أما الفتاة فلا بد أن نتخيل مدى الغضب والإحباط لعدم الاستجابة لملاحظتها ، ومن المؤكد أنها تعرضت للأرق ، ولم تستطع النوم نتيجة لعدم الإصغاء إلى نصيححتها ، وقلقها الشديد على نفسها وأسررتها وقومها . المهم قبل أن يبرز فجر كان الهجوم الكاسح من القبيلة المعادية قد حدث على القبيلة ، وفوجئ الجميع — ما عدا زرقاء الميمامة طبعاً — بحرق الخيام ، وقتل الرجال ، وسبى النساء والأطفال .. وفى هذه الحالة علينا أن نتساءل : أين راح أولئك الحكماء فى القبيلة الذين رفضوا رؤية زرقاء الميمامة ؟

لم تحدثنا الحكاية عن أى واحد منهم ، وتركنا لنا المنطقة فارغة لكى نستخلص منها العبرة ، وهى أن المجتمع الناصح هو الذى يوازن بين الآراء ، ويتخير منها الصالح ، دون أن يضيع الوقت فى مهاترات ، أو يندفع إلى رفض الآراء الجديدة لمجرد العناد وعدم التبصر لعواقب الأمور!